بَغدَاد محطُّ الرّحَّالَة من مختلف الأديان والمَذَاهِب

م. د. عماد الهلالي
أستاذ جامعي في بَغدَاد - دكتوراه مقارنة الأديان

الملخّص

لم يتّفق المُؤَرّخون الغربيّون والشَّرقيّون على سنةِ تأسيسِ بَغدَادَ، ولا على دلالةِ اسمِها. ومنذُ تأسيسِها -الجديد - على يدِ أبي جَعفَرٍ المَنصُور أصبحتْ مَحطًّا للعلمِ والسّياحةِ والمَعرِفَة، فقصدَها عُلَمَاءُ من شتّى أقطار العَالم، وكذلكَ رحّالة بمُختَلِف الإنتماءاتِ الدّينيّة والمَذهَبيّة والعِرقيّة. في هذا المقال سلّطنا الأضواء على أربعِ رحلاتٍ إلى بَغدَادَ لرحّالةٍ ينتمونَ إلى أديانٍ ومَذَاهِب مُتعدّدة، إحداها تُنشرُ مَقاطعُ منها لأوّل مرّة. فحلَّلنا رحلةَ بنيامينَ التَّطيليّ اليَهُوديّ، والمَدام ديولافوا المَسيحيّة، ومِطراقي زَادَه المُسلِم الذي ينتمي إلى المَذهَبِ الحَنفيّ، والصَّاحِب بن عَبَّاد المُسلِم الذي يَنتمي إلى المَذهَب الشّيعيّ الزّيديّ.

ومن ميّزات هذا المقالِ أنّ الرّوزنَامَة أو يوميّاتِ الصَّاحِب بن عَبَّاد وهي أقدمُ رحلةٍ إلى بَغدَادَ وَصَلتنا حتى الآن، سننشرُ مَقاطعَ منها لأوّلِ مرّةٍ في مجلّةِ المَوردِ الموقّرة.

الكلمات المفتاحيّة: بَغدَاد، الرّحَّالَة، الأديانُ والمَذَاهِب، بنيامينُ التَّطيليّ، جَين ديولافوا، مِطرَاقي زَادَه، الصَّاحِب بن عَبَّاد، الرّوزنَامَجة.

(ولّما رجع الصَّاحِب من بَغدَاد وسأله ابن العميد عنها قال: **بَغدَاد في البلادِ كأستاذٍ في العبادِ.)**

أبو مَنصُور الثّعالبي

ثِمارُ القُلوبِ في المُضافِ والمَنسُوب

مُقَدِّمَة

"بَغدَادُ دارُ السّلام وقبّة الإسلامِ ومَقرّ الإمام.."[1]" كما وصفها الرّحَّالَة الهَرَويّ المُتَوفَّى سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م، وبعد تأسيسها -الجديد- سنة (١٤٥هـ/ ٧٦٢م) على يد أبي جَعفَرٍ المَنصُور (ت ١٥٨هـ/ ٧٧٥م) لتكونَ عاصمةً للخِلَافَة العَبَّاسيّة الفتيّة حيث استغرق بناؤها أربع سنوات والتي بناها بشكل دائري على ضفاف دجلة أطلق عليها اسم (**مدينة السّلام**)، ومنذ ذلك الوقت أصبحت محط أنظار العالم بأجمعة إن صحّ التعبير.

كانت بَغدَاد قبلة للعلم والمَعرِفَة، ومرتعًا لشتّى الأديانِ والمَذَاهِب، وفي حقبة ما أصبحتْ مَحطّة للتَّرف والبَذَخ، وهي مَجمَع للتّناقضاتِ، ولكنَّ الرّحَّالَة قصدوها في جميعِ أدوارِها وبمُختلف أطيافِها وأزمانِها. الرّحَّالَة الذين قصدوا وزاروا بَغدَاد كانت لهم أهدافٌ مُختلفة، وهم من أديانٍ ومَذَاهِبَ مُتعدّدة وثقافاتٍ متنوّعة.

الرحّالة اليَهُوديّ بنيامين التَّطيليّ

على كثرةِ ما عالجَ المُؤَرّخون رحلةَ بنيامين التَّطيليّ المُتَوفَّى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م بحثًا وتمحيصًا، ودقّقوا النّظر في محتواها، وراجعوا حوادثَها وقايَسوا بين نصوصِها المَخطوطةِ والمطبوعة، لم يتوصّلوا إلى ما يُلقي الضّوءَ على سيرة هذا الرّحَّالَة المهم ومولده ونشأته ومركزه العلمي والإجتماعيّ. وكل ما يُعرف عنه مأخوذ من المُقَدِّمَة الوجيزة التي صدَّرَ بها الرّحلة كاتبٌ مجهولُ الهويّة، وربّما كان مُعاصرًا لبنيامينَ، لأنّها وردتْ في أقدمِ النّسخِ المَعروفةِ للرّحلة. وقد جاءَ في هذه المُقَدِّمَة أنّه: "الرّبّي بنيامين بن الرّبّي يونه التَّطيليّ النّباري". وأنّه "جابَ المُدنَ البعيدةَ وسجّلَ ما شاهدَه عيانًا في الأمصارِ التي مرّ بها أو ما نَقلَه عن الثِّقاتِ ذوي الأمانةِ المَعروفينَ لدى يهودِ إسبانية".

ويستمرُّ قائلًا: "إنّه دوّنَ هذا الكتابَ عند أوبتِه إلى قشتالةَ سنة ٤٩٣٣ للخليقَة"[2]، وفي روايةٍ أنَّهُ تُوفّيَ في السّنةِ نفسِها، وفي النّهايةِ يَذكر: "أنّه كان من الثّقاتِ العارفينَ بالتَّوراةِ والشّرع.."[3].

بَغدَادُ والرحّالة بنيامين

يُعطينا الرّحَّالَة بنيامينُ معلوماتٍ قيّمة ومهمّة عن أحوالِ اليَهُودِ في بَغدَادَ التي زارَها، ويذكرُ عدَدَهم وأوضاعَهم وطرقَ كَسبِهم ومركزَهم العلميّ والإجتماعيّ وعلاقتَهم بالبيئةِ التي يَعيشونَ فيها. مع كُلّ ذلكَ ثمةَ سؤالٌ يطرحُ هنا، لماذا يُولي بنيامينُ أهميّة كُبرى لبَغدَادَ في هذه الرّحلة؟

---

(١) الهرويّ، أبو الحَسَن عَلّي بن أبي بكرٍ، كتابُ الإرشادِ إلى مَعرِفَة الزّيارات، عنيت بنشرِه وتحقيقه: جانين سورديل-طومين، ص ٧٣.

(٢) يَستخدمُ اليَهُودُ التقويمَ العبريّ الخاصّ بهم وهو يبدأ مُنذُ الخَليقةِ بحسبِ تَواريخِ سفرِ التَّكوينِ في التَّوراةِ. لذلك سنة: ٤٩٣٣ للخليقة تعادلها: ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م.

(٣) وهذا ما شاهدناه من قراءة رحلتِه التي تَدلُّ على علمِه بالتَّوراةِ والشَّريعةِ اليَهُوديّة، وهي الهلاخاه (הֲלָכָה) (Halakha) التي عبارة عن مجموعةِ القوانينِ والتَّعاليمِ الدّينية التي توجّه حياة اليَهُود.

سـؤالٌ مهمٌّ وأساسيّ، لأنّه ببسـاطةٍ كانتْ بَغدَادُ في تلـك الحقبةِ المركـزَ الأوّلَ لليَهـودِ في العالَم، وكانَ رأسُ الجَالُوتِ مقرُّهُ في بَغدَادَ آنذاك.

ما رأس الجَالُوتِ؟

رأسُ الجَالُـوتِ (Exilarch): هـو مُصطَلَح مُعرّب مـن الآراميّة: رِش گالوتا أو ريـشي جَالُوتا (Resh Galuta)، وبالعبريّـة: رُوش هگولـه (Rosh ha-gola) (אש גלות)، وتعني حرفيًا (رئيسُ المَنفَى). وهـو لقبُ أميرِ الجَمَاعـةِ اليَهُودية في بلادِ الرّافدينِ والعالـمِ قبـلَ الإسـلامِ وبعـدَه (منذ القـرن الأوّل للميلاد إلى القـرن الثّالث عشر). وهـو أيضًا ممثّلُ الجاليةِ اليَهُوديّة في العالمِ لدى السّـلطة. وقد تمتّع بصلاحيّاتٍ سياسـيّة ودينيّة واسعة، واحتلّ منزلةً مماثلةً للنّاس، وكان يعدُّ من الحَاشيةِ المُقرّبين لدى المَلـكِ في البِلاط. وهو لقبُ أميرِ الجَماعةِ اليَهُوديّة في (بلادِ الرّافدين) قبلَ الإسلامِ وبعدَه. سُمّيَ بِهِ رئيسُ الطّائفةِ اليَهُوديّة بعدَ خرابِ المَعبَد.

وفي الرّواياتِ اليَهُوديّة -إنْ صحّت- فإنّه عندما مرّ أميرُ المؤمنينَ الإمامُ عَليّ بنُ أبي طالب عليه السـلام (ت ٤٠هـ/ ٦٦١م) بمدينةِ فيروز شابور (الأنبار) خَرجَ لاسـتقبالِهِ مار إسحاق رئيسُ مَثيبةِ فومبيديا بجمعٍ غَفير مـن اليَهُودِ فأكرمَ أميرُ المؤمنينَ وفادَتَه وأقـرّه في منصبِهِ رأسِ الجَالُـوتِ وإعطاهُ الحقوقَ نفسَـها التـي كانَ يتمتّعُ بهـا جاثليـق النّصارى، (Catholicos)[٤].

وفي خِلَافَـةِ عمرَ بنِ الخَطّـاب (ت ٢٦هـ/ ٦٤٤م) تـولّى رئاسـةَ الجَالُـوتِ (بسـتناي بـن حنينـاي) سـليلُ رؤسـاءِ الجَالُوتِ في عهدِ الخُلَفَاء العَبَّاسيّينَ في بَغـدَادَ، كمـا يُنبئنا الرّحَّالَـة اليَهُـوديّ بنيامينُ التُّطيـليّ في رحلته[٥]. وبعد تأسـيسِ مدينـةِ بَغدَادَ في عهـدِ المَنصُور سـنة ٧٦٢م/ ١٤٥ه، انتقلَ رأسُ الجَالُوتِ إلى العاصمةِ الجديدةِ بَغدَاد، وحاز اليهود هنالكَ منزلةً رفيعةً مـن النّواحي الدّينيّة والثقافيّة والاقتصادية[٦]، لاسيّما رأس الجَالُوتِ الذي أحاطَه الخُلَفَاء العَبَّاسـيّينَ بهالة من الاحترامِ والقُدسـيّة، لأنَّه من سُـلالةِ الملكِ داودَ، وكان حَرسُـه ينادون في موكبه: افسحوا الطّريق أمام سيدنا ابن داود.

وكان يمثل السّـلطة الدّينيّة العليـا في الشّرقِ كافة إن لم نقلْ على مُسـتوى العَالمِ اليَهُوديّ بأجمعِه[٧]. «وكانـتْ التقاليـدُ المرعيّة بـين اليَهُود والمُسـلِمين وسـائر أبناء الرّعيّـة تقضي بالنّهـوضِ أمامَ رأسِ الجَالُـوتِ وتحيتِهِ عندَ مرورِه بهم، ومن خالفَ ذلك عُوقبَ بضربِهِ مائةَ جَلدة».[٨]

ويُروى أنَّه بعدَ تأسـيسِ بَغدَادَ وقد سكَنَها اليَهُودُ منذ البدءِ، في سـنة ٧٩٧م/ ١٨١ه أوفدَ شارلمان[٩]

---

(٤) جاثليـق كلمة مُعرّبة عبر السريانيّـة من أصل يوناني (كاثوليكـوس- Catholicos)، وهـي بمعنـى مُتقـدمِ الأساقِفةِ والمُشرفِ على أكثرَ من أسقفيّةٍ مَحليّة.

(٥) التّطيـلي، الربّـي بنيامـين بن يونـة التّطيـلي النباريّ الأندلسيّ، رحلةُ بنيامينَ، ترجمة: عزرا حّداد، ص١٣٥-١٣٨.

(6) Ahram, Ariel I, (Baghdad), Encyclopedia of Jews in the Islamic World, Vol.l, p.313.

(٧) يُنظَر: موريه، شـموئيل، يهود العراق ومسـاهمتهم في الثّقافـة العراقيّة، ترجمة: بهاء سـلمان، ص٤١. وأعيد نـشر المقـال بتغيير طفيـف بعنـوان: (يهـود العراق: الهجرة القسريّة وتلاشي حلم العودة)، في كتاب: الأقليّات في العـراق: الذاكرة – الهويّـة – التحدّيات، من تحرير سعد سلّوم، ص ٥١-٧٥.

(٨). التّطيـلي، الربّـي بنيامـين بن يونـة التّطيـلي النباري الأندلسي، رحلة بنيامين، ص١٣٦-١٣٧.

(٩) Charlemagne. وبالالمانيـة يسـمّونه كارل الكبـير Karl der Große، وأطلـق عليه العـرب: قارلة. هـو ملـك الفرنجة حاكم إمبراطوريتهم بـين عامـي (٧٦٨-٨٠٠م) وإمبراطور

أو كارل الكبير (ت ٨١٤م/ ١٩٩هـ) إمبراطورُ الغربِ إلى هارونَ الرّشيد (ت ٢٩٣هـ/ ٨٠٩م) الخليفة العَبَّاسيّ وفدًا كان بينَ أعضائِهِ إسحاقُ اليَهُودي الذي قابلَ الخليفة[١٠].

وكانَ رأسُ الجَالُوتِ يستمدُّ سلطاتِه من (**كتابِ عهدٍ**) يُوجّهُ إليهِ من الخليفةِ، وأثناءَ مراسيم التَّوليةِ يَمتطي الرّئيس الدّيني اليَهُودي صَهوةَ جوادِه وعليه حلّة ثمينة، ويسيرُ معه الفرسانُ من المُسلِمينَ واليَهُودِ عندما يَخرجُ لمقابلةِ الخليفة. كُلّ ذلك يدلّ على الأبّهة التي كانت تتمتّع بها المُؤَسَّسَة الدّينيّة اليَهُوديّة ورئيسُها في ذلك الوقت[١١]. بل كانَ الأميُر البُويهيّ يَصطحبُ معَه رأسَ الطّائفةِ اليَهُوديّة الجَالُوتِ ومَعهُ النّفّاخون في الأبواق[١٢]. واستمرّ هذا المَنصبُ في عاصمةِ الخِلَافَة بعد سقوطِ بَغدَادَ على أيدي المَغول سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨.

ويُحدّثنا بنيامينُ التَّطيليّ عن رأسِ الجَالُوتِ عالميًّا:

«ويسري نفوذُ رأسِ الجَالُوتِ على جميع طوائفِ اليَهُود المنتشرة في شنعارَ (العراق) وبلادِ خُراسانَ، وسبأ (اليمن) وبلادِ ما بينَ النّهرينِ وجبالِ أراراطَ (أرمينية) وبلادِ اللّان[١٣] المحوطةِ بالجبالِ الشّاهقةِ التي لا يُنفذُ إليها سوى من الأبوابِ الحديد التي شيّدها الإسكندر فتهدّمت من بعدُ، وطوائفُ اليَهُود المُنتشرينَ في سبيرية وبلادِ التوغرميم (التركمان) وبلاد كرجستان (جورجيا) حتّى شواطئِ نهرِ جَيحونَ وحدودِ سمرقندَ وبلدِ الطّيّبات (التبت) وديار الهند.

ففي هذه الأقطار كلّها لا يُعيّن الرّبيّون والخزّانون[١٤] إلّا بمَعرِفَةِ رأسِ الجَالُوتِ. وهم يُشخّصون إلى بَغدَاد بعد نصبِهم لمقابلةِ الرّئيس، ويحملونَ إليه الهَدايا والعَطايا من أقصى المَعمور.. وله إيرادٌ سنويٌّ عظيم من الفَنادق والأسواقِ والمتاجرِ عدا الهدايا التي تتواردُ عليه من البلدانِ القصيّة. فهو على ذلك واسعُ الثّروة، وعلى جانبٍ عظيمٍ من الحكمةِ والفقهِ بأحكامِ التَّوراةِ والتَّلمود»[١٥].

إذن كانت المُؤَسَّسَة الدّينيّة اليَهُوديّة رأسُ الجَالُوتِ تحظى بتقدير واحترام كبيرين من لدنِ السّلطة وعامّة النّاس. وهذه كانتْ من الظواهرِ الملفتة للنظرِ في المُجتمعِ البَغدَاديّ المُتعدّد، ولعلّها شَملتْ عُلَمَاءَ من أديانٍ أخرى في بَغدَادَ آنذاك.

ويصفُ التَّطيليّ الخليفةَ في بَغدَادَ الذي شبّهُ ب (البابا) (Pope) لدى المَسيحيّينَ قائلًا:

" المدينة الكُبرى، كُرسيّ مَملكةِ الخليفةِ أمير المؤمنين[١٦] العَبَّاسّي من آلِ بيتِ نبيّ المسلِمَين. وهو إمامُ الدّينِ الإسلاميّ، يدينُ لهُ بالطاعةِ ملوكُ المُسلِمينَ قاطبةً. فهو عندَهم بمقامِ البابا عندَ النّصارى»[١٧].

أمّا وصفُه للخليفةِ فيصفُه بصفاتٍ قلّما تجدُها في

الإمبراطورية الرومانية المقدسة بين عامي (٨٠٠-٨١٤م).

(١٠) نقلًا عن: درويش، سلمان، كل شيء هادئ في العيادة، ص٢١.

(١١) يُنظَر: رحمة الله، مليحة، الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثّالث والرابع بعد الهجرة، ص ٣٥.

(١٢) راجع: الناشي، عبد الباسط، موسوعة التشيّع (بحث أصولي جامع وموثّق)، ص ٢٤٣-٢٤٤.

(١٣) بلاد اللان أو الألانيّة في جنوب القفقاز وجورجيا. واليوم تعرف باسم آذربيجان.

(١٤) مفردها الخزّان، وهو الخطيب الذي يرتقي المنبر ويصلّي بالجماعة.

(١٥) التّطيلّي، بنيامين بن يونة التّطيلّي النباري الأندلسي، رحلة بنيامين، ص ١٣٧-١٣٨.

(١٦) كانت زيارة بنيامين لبغداد في أواخر خلافة المستنجد بالله أبي المظفّر يوسف بن المقتفي لأمر الله العباسيّ بحدود سنة ٥٥٥-٥٦٦هـ/ ١١٦٠-١١٧٠م.

(١٧) التّطيلّي، بنيامين بن يونة التّطيلّي النباري الأندلسي، رحلة بنيامين، ص ١٣١.

خليفةٍ آخرَ، كزهدِهِ ومعرفتِهِ باللغاتِ، واتقانِه اللغةَ العِبريّةَ قراءةً وكتابة.. قائلًا:

«وقصرُ الخِلَافَة في بَغدَادَ واسعُ الأرجاء.. تتوسّطهُ روضةٌ غنّاءُ فيها أشجارُ مثمرةٌ.. وفيها من الحيوان ضروبٌ كثيرة.. وفي هذا القصرِ يَعقدُ الخليفةُ العَبَّاسيّ الكبير (الحافظ)[١٨] مجلسَ بلاطِه. وهو حَسنُ المُعامَلة لليَهود. وفي حاشيتِه عددٌ منهم. وهو عليمٌ بمختلفِ اللغاتِ، عارفٌ بتوراةِ موسى، يُحسنُ اللغةَ العِبريّة قراءةً وكِتابة»[١٩].

هذا هو وصفٌ مُختصر لبَغدَادَ من نواحٍ شَتى، أوردهُ الرّحَّالَة اليَهُوديّ بنيامينُ التُّطيليّ، وقد ركّزَ على جوانبَ لم يُركز عليها غيرُه من الرّحَّالَة. علمًا أنّ هناكَ رحّالةً يهودًا آخرينَ جاؤوا إلى بَغدَادَ كبنيامينِ الثّاني (ت ١٨٦٤م) الذي قَضى خمسَ سنوات في الشّرق (١٨٤٦-١٨٥١م)، يقول واصفًا بَغدَاد ويهودَها:

« أنا لم أجدْ في حياتي، ومن خلال جَولاتي، يَهودًا أغنياءَ وسُعداءَ في حياتِهم اليوميّة مثل يَهودِ بَغدَادَ، كذلك هم مُتنوّرون، لا يؤمنونَ بالخُرافاتِ والتقاليدِ البالية القديمة. إنّ أفكارَ وثقافةَ يهودِ بَغدَادَ أحسنُ بكثيرٍ من يهودِ الأقطار الشّرقيّة الأخر..»[٢٠].

رحلة الفرنسيّة المدام ديولافوا

أمّا رحلات الرّحَّالَة المَسيحيّينَ إلى بَغدَادَ فهي كثيرة، إذ زارُوها مُنذ سنواتِ التأسيس حتى عصرِنا الحاضر، وبما أنّنا لا نستطيعُ تسليطَ الضّوءِ على جميع هؤلاءِ الرّحَّالَة على اختلاف أطيافِهم واتجاهاتِهم، اخترنا منهم إمرأةً مسيحيّة كاثوليكيّة رسمتْ ملامحَ بَغدَادَ بأناملِها الجميلةِ وعباراتِها البسيطةِ ووصفِها الخلّاب، ورسومها كانتْ أقربَ إلى الواقع، تلكَ هي جَين ديولافوا (Jane Dieulafoy) المُتوفَّاةُ سنة ١٩١٦م. فهي كانت رحّالة ورسّامةً محترفة أيضًا، رسمتْ كثيرًا من مَلامِحِ بَغدَادَ التّاريخيّة والشّهيرة وسلّطتْ الأضواءَ على كثيرٍ من الصّور في كنائسِ بَغدَادَ، ورسمت لنا كذلك أشياء من سِيَر الرُّهبانِ والرَّاهباتِ في بَغدَادَ والمعاناة التي كُنّ يُعشنَها في المَدارسِ مع الطّالباتِ البَغدَاديّات.

تَصفُ وصولَها إلى بَغدَادَ وقد وافقَ حلول الشّتاء وصلت السّفينة إلى بَغدَاد. نهضت في الفجر وفتحت الباب. وما أشدّ دهشتي عندَما رأيتُ طبقةً نحيفةً من الصّقيعِ تُغطّي خشبَ أرضيَّةِ السّفينةِ وأقفاصَ الدّجاج.

وتصفُ شروقَ الشّمسِ على أبنيةِ بَغدَادَ، مرورًا بالمَدرسةِ المُستَنصريّة التّاريخيّة إلى كمارك بَغدَادَ التي تعجُّ بالمَسيحيّينَ واليَهُودِ والمُسلِمينَ واصفةً ضياءَ الشّمس وإشراقَها في السّماءِ على بناياتِ السّرايِ والقُشلةِ وقُبابِ الجوامعِ المغلفة بالآجرّ المُزجَّج الّتي سرعانَ ما غطّتها بقعٌ صغيرةٌ سود: حَمامٌ لا يُحصى ولا يعدّ يحطّ عليها ليُجفّف ريشَه حالما تَرتفعُ الشّمس. وبَصرتُ بالمنائرِ المشوقةِ الّتي تُضاهي النّخيلَ الباسقة حولَها سموًّا نحو السّماء، والمَدرسة [المستنصرية] وبناياتِ الجَمارك الجَميلة الّتي بَدأ يمرّ أمامَها يَهودٌ وأرمنٌ وعَربٌ

---

(١٨) ممكن يقصد من كلمة (الحافظ)، أنّ الخليفة كان حافظًا للقرآن الكريم.

(١٩) التّطيلّي، بنيامينُ بن يونة التّطيلّي النباريّ الأندلسّي، رحلة بنيامين، ص ١٣١-١٣٢.

(٢٠) إسرائيل جوزيف، بنيامين، رحلة بنيامين الثّاني، خمس سنوات في الشرق (١٨٦٤-١٨٥١)، ترجمة وتحقيق: سالم عيسى تولا، ص ١٧٧.

بملابسهم الكثيرةِ الألوان[٢١].

تكلّمت ديولافوا عن طقسِ بَغدَادَ بفصولِها الأربعةِ، كأنّما عاشت فيها مُنذ سنينَ، ووصفتها كانّها مدينةٌ ميّتة لا حركةَ فيها في النّهارِ ولكنّها تعودُ إلى الحياةِ في المَغربِ، فتَجتمعُ النّساءُ ويَتزاورنَ متنقلات من سطح إلى سطح، ويقضين الليل في الثّرثرة وهنّ يدخنّ ويشربنَ الشّربت. وهنّ مُجبراتٌ، ليَتحَاشَينَ البَعوض، على إطفاءِ الأضواءِ والبقاء في الظلام.. وينزلُ الجميعُ في الفجرِ إلى السّردابِ ليَقضوا النّهارَ في خُمودٍ وركودٍ يُصيبان حتّى أنشطِ النّاسِ منهم. وتصفُ حالَها وحالَ نساء بَغدَادَ أيّامَ الشّتاءِ القارس، ويبدو أنّ المدام ديولافوا كانتْ تلبسُ تنّورةً أوربيّة فضفاضة ضاقتْ بها أزقّة بَغدَادَ الضّيّقة أيّامَ المطر.. وتقولُ ليست حالُ نساء بَغدَادَ بأفضلَ في الشّتاءِ منها في الصّيفِ فالطّرقاتُ الضّيّقة تتحولُ إلى مستنقعاتٍ وُحولٍ يَصعبُ عبورُها بتنّوراتٍ أوربّية، وتغطيها قاذوراتٌ من كُلّ الأنواعِ توصلُها أنابيبُ إلى بالوعاتٍ مَفتوحة ليس عليها أغطية حُفرتْ أمامَ كُلّ دار[٢٢].

ثمّ شدّت المدام ديولافوا الرّحالَ إلى الكاظميّة التي تصفُ أزقّتها بأنّها أنظفُ من أزقّةِ بَغدَادَ، وفيها مزارُ الإمامَينِ موسى الكاظم عليه السلام (ت ١٨٣هـ/ ٧٩٩م) ومُحَمَّد الجَواد عليه السلام (ت ٢٢٠هـ/ ٨٥٣م)، لتذهب في الترامواي (الرَّبَل) الذي أتعَبَها بسببِ إهمالِ السّلطةِ العُثمانيّة في تعميرِه، بحيث يفضلُ النّاسُ المشيَ على ركوبِ الترامواي في ذلك الوقتِ فركبنا في الضّفة اليمنى من النّهر التّرمواي الّذي ينبغي أن يوصلنا، حسب ما هو مكتوب إلى الكاظمين في غضونِ ربعِ ساعة أو عشرين دقيقة. ولكنّه توقّف في وسط الطّريق وطلب منّا المسؤولُ أن ننزلَ، وأخبرنا ببطءٍ شرقيّ وخمول أنّ العربة ستسقطُ من على سكّتِها.. ولأنّ المسافة بين بَغدَادَ والكاظميّة لا تتجاوزُ أربعةَ كيلومترات، ولأنّ الرّكابَ يُضيعون ربعَ ساعةٍ من وقتِهم كلما وصلوا إلى هذا الجُزء من السّكة، فقد بدأ النّاسُ يُفضلونَ قطع المسافةِ على أقدامِهم بدلًا من ركوبِ التّرام[٢٣].

أبدتْ المدام ديولافوا إعجابَها بالتُّحفةِ المِعمَاريّة لخَان مرجان في وسطِ سوقِ بَغدَادَ التجاري[٢٤] ثمّ عرّجت على أسواق بَغدَادَ التي هاجَتْ وماجتْ فقد احترقَ جزءٌ من السّوقِ في الليل. وقد أطفئت النّيرانُ بسرعةٍ بطريقةٍ عجيبة، وأنقذتْ الدّكاكينُ من اللّهبِ ومن نَهبِ اللّصوصِ، فما أن بدأ الحريقُ حتّى تسارعَ التّجّارُ بالصّعودِ فوق السّطوح وكسّروا

(٢١) راجع: ديولافوا، جَين (Jane Dieulafoy)، رحلة مدام ديولافوا إلى كلده-العراق سنة ١٨٨١م "١٢٩٩ه"، نقله إلى العربيّة عن الفارسيّة: عَليّ البصري، راجعها ووضع التقديم: مصطفى جواد، ص ٤٩.

(٢٢) للمزيد راجع: ديولافوا، جَين، رحلة مدام ديولافوا، مصدر سابق، ص ٥٧-٥٩.

(٢٣) يُنظَر: الناصري، صباح، (رحلة ديولافوا إلى العراق) المنشورة على النت بتحليل وقراءة معمّقة للرحلة عن الفرنسيّة مباشرة. للمزيد راجع: https://sabahalnassery.wordpress.com/٢٠١٧/٠٤/١٨/ وكذلك راجع: ديولافوا، جَين، رحلة مدام ديولافوا، مصدر سابق، ص ٩٠-٩١.

(٢٤) هو سوق الشورجة الشهير، ومازال قائمًا إلى يومنا الحاضر. ونفس الحرائق تحدث اليوم بين الحين والآخر، دون الحلّ الجذري لها. ويقال الشورجة مفردة فارسيّة مركّبة من (شُور) بمعنى صخب وهيجان، و (جا) بمعنى مكان. والترجمة العربيّة لهذه المفردة (المكان الصاخب). ورأي آخر يقول أنّها فارسيّة أيضًا بمعنى: المكان المالح أو المستنقع ذو الماء المالح، لأن المنطقة قديمًا كانت منخفضة وفيها رطوبة ومياه، او يقال كان في تلك المنطقة حمّام مالح و.. . للمزيد راجع: الحبّة، زكي عبد الحميد، مفردات فارسيّة في بغدادات عزيز الحجيّة، ص ١١٧.

بالفـؤوس السّـقوفَ الخشـبيّةَ المُغطـاة بالـتّرابِ الّتي تَحمي أزقّةَ السّـوق الممتـدّة بين الدّكاكينِ من حَرارةِ أشعّةِ الشّمس. وانطفأتْ النّارُ بسقوطِ هذه السّقوفِ المُغطاة بالتّرابِ عليها[٢٥].

وسـينتظرُ التّجّـارُ يومـينِ أو ثلاثـة ليتأكّـدوا من انطفـاءِ ما يُمكنُ أنْ يَكونَ قـد بقيَ من جمرٍ تحتَ الأنقاضِ[٢٦]، ثمّ سـيزيلونَ أكوامَ الخشـبِ والتّرابِ وينظّفـونَ الأزقّة، وسـيعيدونَ تشـييدَ السّـقوفِ ويفتحونَ دكاكينَهم الّتي لم تُصبّها الأضرار[٢٧].

وأمّـا عـن كنائسِ بَغـدَادَ، فقـد اسـتيقظت المدام ديولافوا في صباح ١٧ ديسـمبر/ كانون الأوّل سنة ١٨٨١ على رنينِ أجراسِ كنيسـةٍ كبيرةٍ في بَغدَادَ[٢٨] لأداءِ الصّـلاة ولأنّه يومُ عيدٍ مَسـيحيّ، فقد انبهرتْ بالكنيسـة ونظافتِهـا، ووصفـتْ المَدرسـةَ التابعةَ للكنيسةِ التي يُديرُها الرّهبان والراهبات قائلةً:

«ويستعينُ الرّهبانُ على أداءِ رسالتِهم هذهِ بالرّاهباتِ اللاتي يَقُمنَ على تَدريسِ وتَعليمِ البَنات..[٢٩]».

وتروي بعضَ القصصِ مـن مكابداتِ الرّاهباتِ[٣٠] مع الطّالباتِ العراقياّتِ، لأنّ المَدرسـةَ تشـتملُ على بناتٍ وبنينَ من مختلفِ الأديانِ والمَذَاهِب. وكثيرٌ من الرّاهبات كُـنّ يَعملنَ في مؤسّسـاتٍ خيريّة قادماتٍ من بيروت.

وتُحدّثنـا ديولافوا عن المَسـيحيّينَ في بَغـدَادَ قائلةً: «وبعد أداءِ مراسيمِ يوم الأحدِ المُعتادَة يأخذُ الرّجالُ النّصـارى وهـم بألبسـتِهم الفاخِرةِ مع نسـائِهم اللاتي يتأنقنَ بحسبِ مبادئِ آخرِ الموضاتِ الحديثة في التَزاورِ، فيزورُ بعضُهم بَعضًا،..»[٣١].

مـع كُلّ ذلـك عندما تُقـارنُ المدام ديولافـوا مدينة (بَغـدَادَ) مع مدينةِ (اسـطنبولَ)[٣٢]، فتقولُ بَغدَادُ هـي الأجمـلُ، وتُخيّر بـين نهـرِ (دجلـةَ)، وخليج (البسفور)، فتصفُ دجلةَ بالأروع..

«ليـس من الممكـن أن تقيـس بَغدَاد باسـلامبولَ، ودجلـةَ بالبسـفورِ، فلا وجـهَ للمُقَايسـةِ بين ذلكَ قـط، إنّنـي لـم أرَ على جسـورِ إسـلامبولَ أو (سر عسـكرية) أو (الطوبخانه) مثلَ هذا المنظرِ الجميلِ الذي رأيتُه اليومَ على جـسرِ بَغدَادَ.. لم أرَ مثل ذلك الجمعِ الغفيرِ بالملابسِ الزّاهيةِ المختلفة وهم في دأبٍ ونَشاط..»[٣٣].

رحلة مطراقي زَادَه

أمّا الرّحّالَةُ المُسـلِمون الذين زاروا بَغدَادَ فهم كثرٌ، وكانوا مـن شـتّى المَذَاهِب والطوائـف، فمن هؤلاءِ

---

(٢٥) للمزيـد راجع: ديولافوا، جَين، رحلـة مدام ديولافوا، مصدر سابق، ص ١١٢-١١٣.

(٢٦) يبدو أنّ الحريق كان هائلًا وكبيرًا.

(٢٧) يُنظَـر: ديولافوا، جَين، رحلة مـدام ديولافوا، مصدر سابق، ص ١١٣.

(٢٨) علمًا أنّ بغداد تشـتهر بالكنائس والأديرة المسـيحيّة مـن مختلف الطوائـف مُنذ تأسيسـها وإلى الآن مع كُل الظروف العصيبة التي مرّت بها.

(٢٩) يُنظَـر: ديولافوا، جَين، رحلة مـدام ديولافوا، مصدر سابق، ص ٧٦.

(٣٠) مازالت بغداد تحتفظ بمجموعة من الأديرة للراهبات كدير الأم تريزا لِلّاتين، ودير الراهباتِ في منطقةِ الدّورة، ودير الراهبـاتِ للسريـانِ الأرثوذكس في حـيّ المُثنّى، وغيرها من الأديرة المُنتـشرةِ في بغدادَ رغم كل الظروفِ العصيبة التي يمـرّون بها، علمًا أنّ للراهبات في منطقة الكـرّادة (داخـل) مشـفى شـهيرًا يُعرف بمُستشـفى الراهباتِ (القدّيس رافائيـل). وعن أديرة بغداد راجع: أبونـا، الأب ألبير، ديَّاراتِ العِـراق، ٣٦٧-٤٠٣، الفصلَ المتعلّقَ بأديرةِ بغدادَ.

(٣١) ديولافـوا، جَين، رحلة مدام ديولافوا، مصدر سـابق، ص ٧٨.

(٣٢) مع أنّ إسطنبول لها شُهرة واسعة مُنذ أكثر من ألف سنة.

(٣٣) ديولافـوا، جَين، رحلة مدام ديولافوا، مصدر سـابق، ص ٥٠-٥١.

الرّحَّالَة اخترتُ رحلةً للرحّالةِ التُّركي نصوح أفندي السّلاحيّ الشّهير بمطراقي زَادَه[٣٤] المتَوفىَّ بعد سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م، إذن من هو مطراقي زَادَه؟

نَصُوح أفندي السّلاحي بن عبد الله قَرَه كُوز الشّهير بمطراقي زَادَه، مُؤَرّخ ورحّالة ورياضيّ ومهندس عسكريّ ورسّام، أصلُه من ولايةِ البوُسنة يوم كانت جُزءًا من الدّولةِ العثمانيّة. ولدَ في بلدةِ فيسوكو التابعة لسَراييفو نحو سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٨٠م. كان يُتقنُ خمسَ لغات، ولمهارتِه في فنونِ الكتابةِ والحساب، وثقافتِه التاريخيّة والجغرافيّة الواسعة، فقد ضُمّ إلى الخدمةِ في الدّيوان، وصاحَبَ السّلطانَ سليمَ الأوّل في حملتِه على دولةِ المَماليكِ في مصرَ والشّامِ سنةَ ٩٢٦-٩٢٧هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م، كما صاحَبَ السّلطانَ سليمانَ القانونيَّ في معظمِ حملاتِه العَسكريّة، وتُوفّيَ سنةَ ٩٧١هـ/ ١٥٦٤م[٣٥].

ويَظهرُ أنّ أمرَ براعتِه في التأليفِ والرسمِ قد اشتُهر عهدَذاك حتّى كُلِّف بمهمةِ تسجيلِ وقائعِ الحَمَلات العسكريّة التي شارك فيها، وتزيينها بالصّورِ الملوّنة التي تُمثّلُ المُدنَ والقَصَباتِ التي مرّ بها الجيشُ أو التي فتَحها. لذلك رحلتُه إلى العراقِ وإلى بَغدَادَ على الخصوصِ مملوءةٌ بالرسوم الملوّنة البديعة، وكان تركيزُه على قبورِ الأولياءِ والمتصوّفةِ في بَغدَادَ ومقاماتِهم، لذلكَ امتازت رحلتُهُ برسوم الأضرحة وأماكن بَغدَادَ التاريخيّة، مع وصفِه تلكَ المناطقَ والآثار.

هناك ميولٌ صوفيّة واضحةٌ لمطراقي زَادَه أثناءَ تسجيلِه لرحلتِه إلى بَغدَادَ، فهو يميلُ لزيارةِ الأضرحة والتبرّكِ بها، لذلك فإنَّهُ في أواسطِ شهرِ رمضانَ سنة ٩٤١ الموافق آذار ١٥٣٥:

«قام بنيّةِ التبرّكِ والاستشهادِ بزيارةِ سائرِ المراقدِ والأضرحةِ المنتشرةِ في أنحاءِ بَغدَادَ وسواحلِ الأنجاد، ومنها: صدرُ صَفوةِ النّبوّةِ ومُقنّنُ قوانينِ الفُتوّةِ الهَادي والرّاشدُ يُوشعُ بنُ نون، والإمامُ العالمُ والنورُ الحاكمُ والراسخُ بأمرِ اللهِ المُلازم الإمامُ مُوسى بنِ الإمامِ جَعفر الكاظم، وهادي الرّشاد وملهم السّداد وقبلة الزّهّاد وكعبة العباد الإمام مُحَمَّد بن عَليّ الجواد، وكهف المؤمنين وهادي المُصلّينَ الإمامُ عَليّ بن مُحَمَّد الهادي الأمين، والعالمُ الوفيّ والعَلَمُ الزّكيُّ الإمامُ حسن بن عَليّ العسكريّ»[٣٦].

نعم كُلّ هذا التبجيل والتجليل يدلُّ على علاقةِ مطراقي زَادَه بالتّصوّفِ وزيارةِ قبورِ الأولياءِ ومَشاهدِهم، ويُضيفُ واصفًا مشاهدَ أئمّة بَغدَاد وأوليائها، قائلًا:

«وسلطانُ عُلَمَاءِ الآفاقِ ومالكُ أزمّةِ العلومِ بالاتفاقِ وكشافُ المشكلاتِ العقليّة ومفتاحُ المُعضلاتِ النّقليّة وباني بناءِ الإسلامِ ومُستخرجُ قواعدِ الأحكامِ وإمامُ الفروعِ والأصولِ وعالمُ المعقولِ والمنقول وكاشفُ رموزِ الفرقان وعارفُ أسرارِ القرآن، الإمامُ الأعظمُ والمفتدى المعظّم، كاشفُ الملّة المُنيفةِ حضرةُ الإمامِ الأعظمِ أبو حنيفة، وقمرُ المُجتهدين وسيّدُ الفقهاءِ والمحدّثين وإمامُ المُسلمين وبرهانُ المِلَّةِ والدّين

(٣٤) المِطراقي أو المِطراقجي، نسبةً إلى المِطراقِ وهو الدّرعُ المُغلّفُ بالجِلدِ الذي يستخدمُه الفرسان في قتالِهم، وفي الألعابِ الميدانيّة أيضًا.

(٣٥) يُنظَر: رؤوف، عماد عبد السّلام، العراقُ كما رسَمَه المطراقي زَادَه سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م، رحلة مصوّرة إلى المشاهد الدّينيّة، ص ١١-١٢.

(٣٦) مطراقي زاده، نصوح السلاحي (توفي بعد ٩٥٨هـ)، رحلة مُطراقي زاده لنصوح السلاحي الشهير بمطراقي زاده، ترجمة: صبحي ناظم توفيق، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، ص ٩٠-٩١.
علمًا أنّ سامراء في تلك الفترة كانت تابعة إلى ولاية بغداد، وحتّى تأسيس الدّولة العراقيّة سنة ١٩٢١م.

الإمامُ الأكرمُ الأكملُ الإمامُ أحمدُ بن مُحَمَّد بن حنبل، وزبدةُ أربابِ التقوى وقُدوةُ أصحابِ الفتوى وإمامُ المُسلِمينَ وبرهانُ الشّريعةِ والدينِ حضرةُ الإمامِ أبو يوسفَ سعدُ الدّين»[٣٧].

وهكذا يستمرُّ مطراقي زَادَه في وصف مقامات العُلَمَاء والأولياء مارًّا بكلّ من أضرحتِهم مشفوعةً برسمِ صورة ذلك المقامِ في كُلّ من: الحَكيم لقمان، السّيّد نجم الدّين، الشّيخ أبي المَكارم، إبراهيم الأفضل، حسن الأكمل، عمر الكيماني، السريّ السّقطي، معروفُ الكرخي، حسن البَلخيّ، جُنيدُ البَغدَاديّ، داود الطّائي، قمر الدّين، عون ومعين، أبو بخش نوري، شبليّ المَنصُوريّ، بهلولُ ديوانه، العارفُ الصّوفيّ جيركين آبدال، وشهيدُ معركةِ الرّب حضرةُ حلّاج المَنصُور، الشّيخ سعيدُ السّرخساميّ، سلمانُ الفارسيّ، الشّيخ حذيفةُ اليَمانيّ[٣٨].

إذن تكمن أهميّة هذه الرّحلة إلى حدٍ كبير في أنها ضمّت عددًا كبيرًا من الصّور الملونة التي أبدعتها ريشةُ المطراقي زَادَه وفرشاتُه وألوانُه الخلّابة، رسمَ فيها المدنَ والقصباتِ والحصونَ والمراقدَ والخرائبَ الأثريّةَ والخاناتِ والممرّاتِ الجبليّةَ والمبانيَ المختلفة، كما اهتمّ برسمِ بيئةِ مناطقِ شرقيّ بَغدَاد، حيثُ البساتينُ والأشجارُ المتنوّعةُ والأزهارُ والأنهارُ. حتّى يمكن القول إنّ هذه الصّور تُمثّل وثائق عالية القيمة لا غنى عنها في دراسة تخطيط مدينة بَغدَاد والأبنيةِ الرّئيسة والدور العاديّة في القرن العاشر للهجرة/ السّادس عشر للميلاد[٣٩].

الروزنامجة.. يوميّات الصَّاحِب إلى بَغدَاد

الرّوزنَامجةُ هي أندرُ وأقدمُ رحلةٍ وصلتنا عن بَغدَادَ إلى الآن (٢٠٢٥م)، كُتبت سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م، وكانت تُعدّ من الرّحلاتِ المفقودةِ مدّةَ سبعةِ قرون متماديةً[٤٠]، لذلك جمعَ الباحث والمحقق العراقي المرحوم الشيخ مُحَمَّد حَسن آل ياسين (ت ٢٠٠٦م) ما ذُكرَ حولَ الرّحلةِ من مصدرَين أساسيين: الأوّل **يتيمةُ الدّهر في مَحاسنِ أهل العصر** لأبي منصورٍ الثّعالبيّ (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، والثّاني **مُعجمُ الأدباء** لياقوت الحَمويّ (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٦م) ونشرَها في بَغدَادَ سنة ١٩٦٥م بعنوان (الروزنامجة). ولكن بعد سنين طوال اكتشف هذه المخطوطة الواقعة ضمن مجموعة من المخطوطات برقم ١٢٥٠٢ المحفوظة في خزانة العتبة الرّضويّة (آستان قدس رضوي) في مدينة مشهد التابعة لمحافظة خراسان الرّضويّة في إيران.

أمّا عن الصَّاحِب بن عَبَّاد، فهو أبو القاسم الصَّاحِب إسماعيل بن عبّاد بن عبّاس، ولد في مدينةِ طالقانَ (قربَ طهرانَ العاصمةِ الإيرانيّة) سنة ٣٢٦هـ/ ٩٣٨م، كان شغوفًا بالعلم والمَعرِفَة والأدب، تقلّدَ

(٣٧) مطراقي زاده، نصوح السلاحي (توفي بعد ٩٥٨هـ)، رحلة مُطراقي زاده لنصوح السلاحي الشهير بمطراقي زاده، ترجمة: صبحي ناظم توفيق، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، ص ٩١.

(٣٨) للمزيد عن وصف هؤلاء المتصوّفة والأولياء راجع: مطراقي زاده، نصوح السلاحي (توفي بعد ٩٥٨هـ)، رحلة مُطراقي زاده لنصوح السلاحي الشهير بمطراقي زاده، ترجمة: صبحي ناظم توفيق، تحقيق: عماد عبد السلام رؤوف، ص ٩١-٩٤.

(٣٩) للمزيد راجع: رؤوف، عماد عبد السّلام، العراق كما رسمه المطراقي زاده سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م، رحلة مصوّرة إلى المشاهد الدّينيّة، ص ١٤-١٥.
علمًا أنّ أغلب هذه الأضرحة والمزارات المتعددة والمنوّعة من مختلف المذاهب الإسلاميّة في بغداد مُهملة من قبل الحكومات المتعاقبة وإلى الآن (٢٠٢٥م).

(٤٠) أحد أسباب فقدان هذه الرحلة المهمّة جدًّا هو صعوبة النصّ وتعالي أدبِ الصَّاحِب بن عبّاد، لذلك قلّ تداولُها بينَ المُؤلّفين باستثناءِ الثّعالبي وياقوت فقد نقلا منها، ولعلّ هناكَ بعضَ الكتّاب نقلوا منها ولكن لم تصلنا.

مناصبَ عدّة في الدّولةِ البُويهيّة (٣٣٤ - ٤٥٤هـ/ ٩٣٤ - ١٠٦٢م) التي استمرّت قرابةَ مائةٍ وعشرينَ عامًا وحكمتْ العـراقَ وإيران[٤١]. ولُقّب بالصَّاحِب لأنّـه صَحِبَ الوزيرَ أبا الفضـلِ بنِ العَميد (ت نحو ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)[٤٢] وهنـاك آراءٌ أخـرى في هذا الأمـر، ولُقّب بـكافي الكُفـاةِ لأنّه جَمعَ بـين البلاغةِ والسّياسةِ، فحَكمَ بعدلٍ ونطقَ بفضل. وليس سهلًا على مَن يعمل بالوزارةِ أنْ يَكونَ مكثرًا في التصنيفِ. له ديوانُ شـعرٍ ومُصنّفات في اللغةِ والنقدِ والتّاريخِ وعلومٍ أخرى.

كان الصَّاحِـب بحسـب قرائتي ينتمـي إلى المَذهَبِ الزّيديّ، أحد المَذَاهِب الشّيعيّة، ولكن كانَ يَعدُّ نفسه فوق كُلّ هذه الإتّجاهاتِ المَذهَبيّة، بمعنًى آخر وبلغةِ العصر أنّـه كان مُنفتحًا على عصرِه بجميعِ طوائفِه وأديانِه، وهـذه إحدى ميّزاتِ العصرِ البُويهيّ. تُوفّيَ الصَّاحِـب في مدينـةِ الرّي سـنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م، ونُقلَ جثمانُه إلى مدينـةِ أصفهانَ ودُفنَ هناك، وما زالَ مزارُه قائمًا إلى الآن.

اشـتهر الصَّاحِب بن عَبَّاد بخزانةٍ كبيرةٍ من الكتب، وجعـلَ لها خازنًا خاصًّـا، هو أبو مُحَمَّـد عبدُ اللهِ بنُ أحمـدَ الخازنُ الأصفهانـيّ، وكان من خواصِّه، وكان فِهـرسُ مكتبتِه عشرَ مجلّداتٍ وربّما أكثر من ذلك[٤٣].

أما عـن الرّوزنَامَجـة أو الرّوزنَامَـج للصَّاحِبِ بن عَبَّاد وهي بمعنـى اليوميّات، مُعرّبة عـن البَهلويّة (روزنامـگ)، ومركّبـة مـن (روز) و (نامـگ)، بمعنـى الرّسـالة أو الدّفـتر، فدخلـتْ إلى العَربيّـة وعُرّبـتْ (روزنامجـة)، ثمّ انتقلتْ مـن العربيّة إلى الفارسيّة[٤٤]. أمّا الكاتبُ الخوارزميّ (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) فيقـولُ إنّها كلمةٌ فارسـيّة معناها الأخبارُ اليَوميّـة أو الصّحيفةُ اليوميّـة أو الكتابُ. وتتكوّنُ مـن مقطعَين: **روز** بمَعنى اليَـوم، ونامَه أي كِتاب، فتكون: كتاب اليوم[٤٥].

أما عن الرّوزنَامَجة أو الرّحلة للصَّاحِب بن عَبَّاد التي كانت تُعدُّ من المفقودات لمدةّ سبعة قرون، واكتَشَفها مؤخّرًا باحثَـانِ جليلَان هما الدّكتور مصعب ماجد وقد اضطلعَ بقراءتِها وتحقيقها مشـكورًا، ذلك أن نَـصَّ المخطوط كانَ غايةً في الصّعوبة، لا سـما مع الأسلوب الأدبيّ الرّفيع للصَّاحِب بن عَبَّاد وقاموسِه الخاصّ، وطالبُ الدّكتوراه أميد حُسيني نجاد الذي

(٤١) الفترة البويهيّة في العـراق وإيران امتدّت قرابة مائة وعشريـنَ عامًـا يَراهـا كثيرٌ مـن المؤرّخين مـن أفضلِ الفترات السياسيّة والإقتصاديّة والإجتماعيّة، وهي كانت الأكثرَ انتاجًا للمَعرفَة، وحتّى كثير من المذاهبِ الإسلاميّة في تلـك الفترة تكاملت معرفيًّا ونظّمت أمورها الهيكليّة. للمزيد عن الفـترة البويهيّة وعـلى الخصوص فترة أبي محمد المُهلّبيّ في بغداد (٣٤٠-٣٥٢هـ/ ٩٥١-٩٦٣م) راجـع: الهلالي، عماد، الدّراسـة التـي كتبتها على كتاب تهذيب الأخلاق لمسكويه، ص ٩٨-١٠٤.

(٤٢) كتـب الأديب والفيلسـوف أبو حيّـان التوحيديّ (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) كتابًا أسـماه (أخـلاق الوزيرين) وهو في الحقيقة مثالب الوزيرين الصَّاحِب بن عبّاد وأبن العميد، يُقال أنّ التوحيدي قد خلّد هاتين الشـخصيتين بكتابه هذا، وهناك دوافـع عدّة جعلت التوحيديّ يكتب هذا الكتاب وبأسلوب أدبي راقي.

(٤٣) للمزيد راجع:الثعالبي النيسابوري، أبا منصور عبد الملـك بن محمد بن إسـماعيل، يتيمة الدّهر في محاسـن أهـل العصر، تحقيق: محمد محيـي الدّين عبد الحميد، ج٣، ص ٣٧٩، و أيضًا: ياقوت الحموي، شـهاب الدّين أبـو عبد الله، معجم الأدبـاء، تحقيق: د.س. مرجليوث، ج٢، ص ٦٩٧.

(٤٤) يُنظَر: مقدمة أميد حسـيني نجاد على نشر مخطوط (فاكسـميل) روزنامجـة التـي سـتُنشر في مجلة Shii Studies Review (مجلة الدّراسات الشيعية) في بريل في مدينة ليدن الهولنديّة.

(٤٥) يُنظَـر في ذلك: الكاتب الخوارزمي، أبا عبد الله محمد بن أحمد بن يوسـف، مفاتيح العلـوم، تصحيح ونشر: إدارة الطباعة المنيريّة، ص ٣٧.

سـيَنشُرُ تعريفًا بالمخطوط، مع صورةٍ طبقِ الأصلِ (فاكسـميل) في مجلةِ الدّراسـاتِ الشّـيعيّة (Shii Studies Review) التـي تصدرُ في بريل (Brill) بَمدينةِ ليدنَ (Leden) الهولنديّة.

كتب الصَّاحِب بن عَبَّاد هذه الرّحلة سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م عندما جـاء إلى بَغدَاد مع الأميرِ أبي مَنصورٍ بُويـه بنُ ركنِ الدّولة، يَخطب ابنـةَ مُعزّ الدّولة[٤٦]. وكانَ عمرُه آنذاكَ قُرابة إحدى وعشرينَ سنة فقط، وهـو في ريعـانِ شـبابِه، وأظهرَ الصَّاحِـب في هذه الرّحلةِ، التي سـننشرُ مقاطعَ منهـا هنا لأوّل مرّة، براعتَـه في العلـوم ورسـوخَه في الفنـونِ، وليسَ في الشّعرِ والأدبِ وحدهُما.

تكلمَ في الرّوزنَامَجة أو اليوميّات عن حضارةِ بَغدَادَ وعـاداتِ البَغدَاديينَ وتقاليدِهـم، وجملةٍ كبيرةٍ من العُلَمَـاء والأدباء والشُّـعَراء والـوُزَراء وغيرهم، ولا سـيّما الأديب والشـاعر البَغدَاديّ ابـن المُنجّم[٤٧]، فيقول واصفًا جارية ابن المُنَجِّم:

«عند ابـن المنجّمِ جاريـةٌ صغيرةٌ، مغنيـةٌ مجيدةٌ، تُخرجُ أطيب من الكبـير[٤٨]، وانعم حُنجرةً، وأحلى تصرّفًا..»[٤٩].

ونكلمَ كذلك عن أبرزِ الاحتفالاتِ والمواسـمِ والأيّامِ، والعرضِ المُفصّلِ للحياةِ الخاصّةِ في قصورِ الوُجهاءِ والـوُزراء والأدباء وغير ذلك، ومصـدرُه في كُلّ هذه الأمور مُشـاهداتُه العينيّةُ وسـماعاتُه، وليسَ النّقل عن المَصـادرِ التاريخيّة أو المكتوبـة، وقد صوّر ما نقلَه بالتفاصيل، فأفادَنا بأسـماءِ مُغنّياتٍ أو جَوارٍ لا نعرفُ شيئًا عنهنّ.

ولـم يَغفـلْ الصَّاحِب عن الفلاسـفةِ والمتكلمينَ من المُعتزلـة[٥٠]، فحدَّثنـا عـن الفيلسـوفِ الأخلاقـيّ المَسـيحيّ أبي زكريّا يَحيَى بن عَديّ (ت ٣٦٤هـ/ ٩٦٥م) وأشـادَ بعلمِـه وفضلِهِ بين فلاسـفةِ بَغدَاد وعُلَمَائها قائلًا:

«واحتَلـتُ أن أجمـعَ بينَهم وبين أبـي زكريّا يَحيَى بـنِ عَديّ، فجمعتُ بعد أن احتلتُ وتلطّفت.. ويقرر بـين الخصمين تقريـرًا يُنبئُ عن فضلِـه ومعرفتِه، ويخـبرُ بعلمِه ودرايتِه. وكان أسـقط يومًا سـقطةً نُكبتْ المعتزلة عليها، فرأيتُ من إنصافِه إقرارَه بها، والـذي جلبها مسـألةٌ تجاراها مُعتزلـةُ البَغدَاديينَ والبَصريّينَ»[٥١].

فبمـا أنّ الصَّاحِب هـو من العُلَمَـاء والأدبَاء الكبار لذلـك فإنّ يوميّاتِه في بَغدَادَ تَعُـجُّ بمجالسِ العُلَمَاءِ والأدبـاء وتُحدّثنا عن زوايا لم نكـنْ نعلمُها إلّا من الرّوزنَامَجة للصّاحب، يتحدثُ قائلًا:

«وأبـو القاسـمِ البريـديّ[٥٢]- أيّـدهُ اللـه- معـدنُ الحكمـة، ومنزلُ الوحي، ومهبطُ جَبرَئيل، وصاحبُ بُكُور ومَشـغَلة، حورٍ مقصـوراتٍ في الخيام، فبأيّ ألآءِ ربِّكمـا تُكذبـان، وقد ذكرتُ لسـيّدنا- أدامَ اللهُ عزّه- أصواتي عليها، وما أُحسِنُ أن أصفَهما، بأكثرَ

(٤٦) للمزيد راجع: مسـكوية، أبو عَلّي أحمد بن محمد بن يعقوب، تجارب الأمم، تحقيق: أبو القاسـم إمامي، ج٦، ص ٢٠٧.

(٤٧) أبوه عَلّي بن هارون المنجّم، وعمّه أبو أحمد يحيى بن عَليّ بـن يحيى بن أبي منصـور المنجّم (ت ٣٠٠هـ/) مولى المعتضد بالله، له رسالة في النغم مطبوعة.

(٤٨) لعله أراد: «تُخرجُ الطيبَ من الكير»، على سـبيل المبالغة في مدح جمال صوتها. (المُراجع)

(٤٩) الصَّاحِب بنً عبّاد، أبو القاسم، الروزنامَجة، تحقيق: مُصعَب ماجد، ص ٨١.

(٥٠) من أهم المذاهب الإعتزاليّة مدرسـة بغداد، فكثيٌر من الإنتاج المعرفيّ الإعتزاليّ أنتجَ في بغدادَ آنذاك.

(٥١) الصَّاحِب بنً عبّاد، أبو القاسـم، الروزنامَجة، مصدر سابق، ص ٨٤.

(٥٢) عبد الله بن أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م). وقد ذكر أنّ صاحبتـهُ ريحانة الجارية المُغنّية ببغداد.

من قـولِ الصّوفيّـة: (أخذتَني عنّي فبقيـتُ أنا بلا أنا)[٥٣]».

ويضيفُ واصفًا الليلةَ مع أبي القاسـمِ البريديّ على نهـر دجلةَ في بَغـدَاد: «وكانَ دعاني ليلـةً والقمراءُ منبسـطة على دجلة، وروشـنُه[٥٤] يركـبُ الجسر، وسـتاراتُه ممدودةٌ، وأوتَـارهُ متجاوبـةٌ، والمجلسُ خالٍ، فكان ما لا عينٌ رأت، ولا أذُنٌ سَمعتْ. وتنغّصتُ لِمولانا- لا نغّصَ اللهُ عنهُ النّعمةَ- فشربتُ للأستاذِ الرّئيسِ كما يَرضى قائمًا»[٥٥].

وعندمـا ينتقل من البّر إلى النّهر في بَغدَادَ، نسـمعه يقولُ واصفًا:

« والبدرُ يَجنحُ للغروب كأنّما

قد سلَّ فوقَ الماءِ سيفًا مُذهَبا

وأصـواتُ الملّاحـين تتجـاوبُ، وقصـورُ الشّـطّين تَصطخبُ بالغنـاءِ وتَضطربُ، ومواقـعُ المَجاديفِ تُلحّـنُ وتُطربُ، هذا إذا كانت دجلةُ ياقوتةً، أو أعيُنًا زُرقًا يُلائمُ بينها ويُفصّلُ»[٥٦].

ويُحدثنـا الصَّاحِب عـن تجربته في بَغـدَادَ مع أبي مُحَمَّد المُهلّبي وخمّار الدّير: "وعلى ذكر عُكبرى[٥٧] حضرنـا مع الأسـتاذ أبـي مُحَمَّد-أيّده اللـه- بها، فاستدعَى دَنًّا للوقتِ، وخمّارًا من الدّير، وريحانًا من الحَانةِ، وغنّاءً من الماخور. وأخذنا **فنٌّ** من الإنخلاعِ عجيب، وطريقٍ من الإسترسال رَحيب..[٥٨]".

ويصـفُ جاريةَ أبـي الفرجِ مُحَمَّد بـنِ العبّاسِ[٥٩] قائلًا: "وسمعتُ عنده **مُتدع** جاريةَ آمنةَ الهاشميّة، ولها في العُود والغناء رفيقٌ مُستظرف. وخبرها من بعدُ[٦٠] طريفٌ فلا بُدّ من نَسَقه على وجهِه"[٦١].

وأمّا عن مغنّيات بَغـدَاد الكُثر فكان لهُنَّ دور مهمّ في الحياةِ الاجتماعيّةِ البَغدَاديّة، يصفُ الصَّاحِب بنُ عَبَّاد مُغنية تُعرفُ بفتـوّة القصريّة التي انبهرَ بها وأحـبّ مقابلتها: "ودعا أبو جَعفرٍ ابن عَبّاسـة[٦٢] بعقـبِ هذه الحال الأسـتاذ أبـا مُحَمَّد (أيّـدَه الله) وسألني مُسـاعدته، فشـاهدتُ هناك مُغنّية تُعرف بفُتُـوّةَ القَصريّة[٦٣]، لم أرَ أعـيَر منها ولا أعهرَ، ولا أطـربَ ولا أطيـبَ، تسـتخفُّ بواجبِ حـقّ الصّدرِ والعَجـزِ، وتركتْ كشـفَ المتبوعِ والتّابع، بلسـانٍ أنفذَ من السّـيف، ونوادرَ أحرَّ مـن الجَمر. وأُولِعتْ بي فأحببـتُ مُقابلتها بما يكـفُّ عادِيتَها، وجعلتُ أتغافلُ عمّا **تلسـع** عَليّ به، وأُغضي على ما تتصرّف فيـه، إلى أن قالت: أراكَ مُختصًّـا بالوزير، ولي عليه وَعـدٌ قد طالَ أمَدُهُ وتراختْ مُدّتُه، فحياتي لما كتبتَ على كفّي أبياتًا أقفُه عليها، وأقضيه بها. فاستدعيتُ الدّواة في خِفيةٍ، وكتبتُ على إحدى كفّيها:

---

(٥٣) الصَّاحِب بنُ عبّاد، أبو القاسـم، الروزنامَجة، مصدر سـابق، ص ٨٦. وجـاء في كتاب: خـاصّ الخاص لأبي منصور الثّعالبي، بتحقيق: صادق النقوي، ص ٢٤٢ « وقرأتُ للصاحب رسـالةً يقـولُ فيها: انا كما قال بعضُ الصوفيّة: أخذَ منّي أنا، فبقيتُ أنا بِلا أنا.

(٥٤) الرَّوشنُ سقفٌ يمتدُّ من بناءِ الدّار.

(٥٥) الصَّاحِب بن عبّاد، أبو القاسم، الروزنامجة، تحقيق: مصعب ماجد، ص ٨٧.

(٥٦) المصدر السابق، ص ٨٨.

(٥٧) وهي على أطراف بغداد.

(٥٨) الصَّاحِب بنُ عبّاد، أبو القاسم، الروزنامجة، ص ٨٩

(٥٩) أبو الفرج محمد بن العبّاس بن فَسانجس الشيرازيّ المتوفّى سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨١م، كاتبُ مُعزّ الدّولة، ووزيرُ بختيار،

(٦٠) الغناء بالعود خبْر مُستطرفٌ، وخبرها بعدها ظريفٌ.

(٦١) الصَّاحِب بن عبّاد، أبو القاسم، الروزنامجة، ص ٩٠-٩١.

(٦٢) صاحب جِمال معز الدّولة.

(٦٣) نقـلًا عـن كتاب أبـو حيّـان التوحيديّ في الرسـالة البغداديّة، ص ٢٤٩، هي جاريةُ الشـاعر المشـهور ابن الحجّاج النّيلي المتوفّى سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠١م.

فُتُوّةٌ علِقت أير الحِمار وَقَد

تَجنّبَ النّيك مِنها أهلُ بَغدَاد

فقيل:لا تُدخِليه إنّ فيه أذىً

قالت: على الرّغمِ مِن أَير ابن عبّادِ"[٦٤].

ويُحدّثنا الصَّاحِب عن ظاهرة يوم اشموني في بَغدَادَ وجمالها، والكلمة نسبةً إلى دير أشمونيّ[٦٥]، في المنطقة التي تقعُ اليومَ في ضاحيةِ التاجيّ شماليّ بَغدَاد واصفًا:

"والعجبُ كُلّ العجَب بينَ جُمادَى ورجَب، يوم أشمونيّ عندَ النّصارى. يخرجُ فيه أكثرُ أهلِ الجانبَين[٦٦] إلى بابِ الشّمّاسيّة[٦٧] في الزّنّاراتِ، والطيّاراتِ، والشّذواتِ والرّقيّاتِ والسّماريّاتِ، والخيّاطاتِ، بمُغنّياتٍ يتبرّجنَ، وَصواحِبَ كنساءِ عدن، وغلمانٍ كالبُدُر من بني هاشمٍ (أعزّهم الله)، يَهشمونَ كثريدِ جدّهم، ووالله ما السّماحةُ من أحَدِ الطّرفين إلّا فيهم"[٦٨].

ويذكر الصَّاحِب أنّ **يومَ الكُناسة**[٦٩] هو أعجبُ من يومِ أشموني، ويصفُه بأنّ الجنّة في مثلِ هذا اليوم تخرجُ في أبهى حُلِلِها وأنفسِ حُلاها، بحورِها وولدَانِها، وستجدُ ما تشتهيهِ الأنفسُ وتلذُّ الأعين[٧٠].

كانت هذه إلمامةٌ برحلة الصَّاحِب بن عَبَّاد (الروزنامجة) التي ننشرُ هنا مقتطفاتٍ منها لأوّل مرّة، وهذا لم يكن إلّا بلطفِ الدّكتور مصعب ماجد والأستاذ أميد حسيني نجاد وكرمهما، فلهُما كُلّ الشّكر والتقدير، ولا أنسى جهود الصّديق الغالي والباحث في التُّراثِ العراقيّ الأستاذ أياد الرّبيّعي الذي زوّدني بكثيرٍ من المَصادر عن الرّحلات البَغدَاديّة، والشُّكرُ موصولٌ إلى الدّكتور حسن عبد راضي رئيس تحرير مجلّة المورد الذي شَجّعني على تدوينِ المحاضرةِ التي ألقيتُها في دارِ سوسةَ للثقافةِ

---

(٦٤) الصَّاحِب بن عبّاد، أبو القاسم، الروزنامجة، تحقيق: مصعب ماجد، ص ٩٨-٩٩.

يبدو أنّ هذه الأدبيّات كانت رائجة في القرنين الرابع والخامس للهجرة في بغداد، لذلك نرى شخصًا مثل مسكويه، وهو صاحبُ كتابِ تهذيبِ الأخلاق، ويُعرفُ عنه بأنّه معلّم الأخلاق، يَهجو الصَّاحِب بنَ عبّاد بقصيدةٍ تحتوي على ألفاظٍ شنيعةٍ وبذيئة حتّى أنّ الثّعالبيّ يُنزّه يتيمتَه عن ذكرِ بعضِ هذا الهجاء، ولاسيّما أنّه نظّمها بعد أنْ جاوزَ الخامسةَ والستينَ من العمر قائلًا:

لا كان أير ابن عبّادَ وغِلمَته مَا كان أسرعَه في كلِّ مغتلمِ
دَمى جبينَ أبي العبّاس فهو يرى تقبير كلّ جبينٍ واضح بدم
ومن يدر مثل عَيني طيشه لمّا لم يرض في فخذ الأحداث باللّمم
لأهدينَّ لأفواه الرواةِ له لحمًا تمضغه الأفواه عن بشمِ

(للمزيد راجع: الهلالي، عماد، دراسة وتحقيق لكتاب تهذيب الأخلاق لمسكويه، ص ١٤٣- ١٤٤. نقلًا عن تتمّة اليتيمة للثعالبي، والبَشمُ: التُّخمة).

(٦٥) أشموني امرأة بُني الدّيرُ على اسمها، ودُفنت فيه.. ويقع على الجانب الغربيّ من نهر دجلة، والاشموني من الأيّام العظيمة ببغداد، يجتمعُ أهلها إليه كاجتماعهم إلى بعض أعيادهم، ولا يبقى أحدٌ من أهل من أهل التطرّب واللعب إلّا خرج إليه..»؟

(للمزيد راجع: الشابشتي، أبا الحَسَن علي بن محمّد، الدّيارات، تحقيق: كوركيس عوّاد، ص ٤٦).

وهناك مثل بغداديّ: ومن ضاق به دَير أشموني عدل إلى دير الجُرجوث.

(يُنظر في ذلك: ياقوت الحموي، شهاب الدّين أبو عبد الله، معجم البلدان، طبعة دار صادر، ج٢، ص ٤٩٨).

(٦٦) يقصد الكرخ والرصافة.

(٦٧) في الجانب الشّرقيّ من بغدادَ على جانبِ دجلةَ، وتحديدًا في المنطقةِ المُسمّاةِ اليومَ (الكريعات). وفيها بَنى مُعزُّ الدّولةِ قصرًا سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م.

(للمزيد راجع: التنوخي، أبا عَليّ المحسّن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي، ج١، ص ١٣٨).

(٦٨) الصَّاحِب بن عبّاد، أبو القاسم، الروزنامجة، تحقيق: مصعب ماجد، ص ٩٢-٩٣.

(٦٩) إنّه يوم الحَصاد، ويأتي بعد خمسين يومًا من عيد القيامة، وسُمّي بالكُناسة لأنّه يحدُثُ فيه حصاد الزّرع.

(٧٠) للمزيد راجع: الصَّاحِب بن عبّاد، أبا القاسم، الروزنامجة، تحقيق: مصعب ماجد، ص ٩٤.

بالتّعاونِ مع معهدِ غوتَه الألمانيّ في بَغدَادَ فلهما كُلّ الشّكر والتقدير والعرفان.

المصادر والمراجع

- التَّطيلي، الرّبّي بنيامين بن يونة التَّطيليّ النّباري الأندلسي (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م)، رحلة بنيامين (٥٦١-٥٦٩هـ)- (١١٦٥-١١٧٣م)، ترجمها عن الأصل العبري وعلق حواشيها وكتب ملحقاتها: عزرا حداد، مصدرة بمُقَدِّمَة للمُؤَرّخ: عباس عزاوي، ط١، المطبعة الشّرقيّة، بَغدَاد، ١٩٤٥م.
- رؤوف، عماد عبد السّلام (ت ٢٠٢١م)، العراق كما رسمه المطراقي زَادَه سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م، رحلة مصوّرة إلى المشاهد الدّينيّة، ط١، بيروت، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، ٢٠١٥م. أصل رحلة مطراقي زَادَه (ت ١٥٦٤م) مكتبوة باللغة التركيّة العثمانيّة القديمة، وقد قام بترجمتها إلى العربيّة صبحي ناظم، واستفاد من الترجمة المرحوم رؤوف.
- مطراقي زَادَه، نصوح السّلاحي (توفي بعد ٩٥٨هـ)، رحلة مُطراقي زَادَه لنصوح السّلاحي الشّهير بمطراقي زَادَه، ترجمة: صبحي ناظم توفيق، تحقيق: عماد عبد السّلام رؤوف، أبو ظبي، المجمع الثّقافيّ، ٢٠٠٣م. والعنوان الأصلي للكتاب الذي لم يُذكر في الطّبعتين المتشابهتين هو: منازل سفر العراقين للسلطان سليمان خان.
- يبدو أنّ محقق الكتاب المرحوم عماد عبد السّلام رؤوف بعد فترة توصّل إلى أنّ وفاة مطراقي زَادَه كانت بتاريخ: ١٦ رمضان ٩٧١/ ٢٨ نيسان ١٥٦٤.
- ديولافوا، جَين (Jane Dieulafoy) (ت ١٩١٦م)، رحلة مدام ديولافوا إلى كلده-العراق سنة ١٨٨١م "١٢٩٩ه"، نقله إلى العربيّة عن الفارسيّة: عَليّ البصري، راجعها ووضع التقديم: مصطفى جواد، بَغدَاد، دار منشورات البصري، مطبعة أسعد، ١٩٥٩م. وقد أعيد طباعة الرّحلة بأحرف جديدة من قبل الدّار العربيّة للموسوعات في بيروت سنة ٢٠٠٧م.
- (دونت ديولافوا رحلتها بالفرنسية في كتاب ضخم اسمته: بلاد فارس وبلاد الكلدان وبلاد شوش، وعنوان فرعي للكتاب: سرد رحلة، يحتوي على ٣٣٦ عملًا طباعيا نفّذت عن صور التقطتها المؤلّفة وخارطتين، صدرت الرّحلة في باريس سنة ١٨٨٧م وقد تُرجمت إلى الفارسية، ثم ترجم عَليّ البصري ما يخص العراق إلى العربية).
- سوسة، أحمد (ت ١٩٨٢م)، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ط١، بَغدَاد، مركز الدّراسات الفلسطينية (سلسلة دراسات فلسطينية-١٢)، ١٩٧٨م.
- درويش، سلمان (شالوم) (ت ١٩٩٧م)، كُلّ شيء هادئ في العيادة، علق عليه وقدمه للطبع: نسيم قزّاز، أورشليم-القُدس، رابطة الجامعيين اليَهُود النّازحين من العراق (رقم:٢)، ١٩٨١م.
- موريه، شموئيل (ت ٢٠١٧م)، (يهود العراق ومساهمتهم في الثّقافة العراقيّة)، ترجمة: بهاء سلمان، بَغدَاد، مسارات، العدد:١٣، السّنة:٤، ٢٠٠٩م.
- وهو نفس المقال الذي نشر في كتاب: الأقليات في العراق، الذاكرة- الهويّة- التحدّيات، ط١، بَغدَاد، مُؤَسَّسَة مسارات للتنمية الثّقافيّة والإعلاميّة، ٢٠١٣م، تحت عنوان: (يهود العراق: الهجرة القسريّة وتلاشي حلم العودة).
- رحمة الله، مليحة، الحالة الاجتماعيّة في العراق في القرنين الثّالث والرابع بعد الهجرة، بَغدَاد، مطبعة الزّهراء، ١٩٧٠م.
- النّاشي، عبد الباسط، موسوعة التشيّع (بحث أصولي جامع وموثّق)، ط٢ (طبعة جديدة وموثّقة)، تونس، الدّار التونسيّة للكتاب (بلقاسم المرزوقي)، ٢٠١٢م.
- صَّاحِب بن عَبَّاد، أبو القاسم (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، الرّوزنَامَجة، تحقيق: مُحَمَّد حسن آل ياسين، ط١، بَغدَاد، مكتبة النّهضة، ١٩٦٥م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدّين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم الأدباء، اعتنى بنسخه وتححيحه: د.س. مرجليوث، ط٢، القاهرة، مطبعة هنديّة بالموسكي، ١٩٢٤م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدّين أبو عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، ط٢، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م.
- التنوخي، أبو عَليّ المحسّن بن علي (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشّالجي، ط١، بيروت، دار صادر، ١٩٧١م.
- الصَّاحِب بن عَبَّاد، أبو القاسم (ت ٣٨٥هـ/

- ٩٩٥م)، الرّوزنَامَجـة، قرأها وعلّق عليها: مصعب ماجد. كُلّ الشّـكر والمحبة للدكتور مصعب ماجد الـذي وضع تحقيق المخطوط الكامل تحت تصرّفي كي اسـتفيد منـه في هذا البحـث عـن الرّحَّالَة إلى بَغدَاد.
- الثعالبي النّيسـابوري، أبو منصـور عبد الملك بن مُحَمَّد بن إسـماعيل (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م)، ثِمار القلـوب في المضـاف والمنسـوب، تحقيـق وشرح: إبراهيـم صالـح، ط١، دمشـق، دار البشـائر، ١٩٩٤م.
- الثعالبي النّيسـابوري، أبو منصـور عبد الملك بن مُحَمَّد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م)، خاصُّ الخـاصّ، حقّقه وعلّق عليه: صادق النّقويّ، حيدر آباد الدّكن، دائرة المعارف العثمانيّة، ١٩٨٤م.
- الثعالبـي النّيسـابوري، أبـو منصـور عبـد الملك بن مُحَمَّد بن إسـماعيل (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م)، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدّين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السّعادة، ١٩٥٦م.
- مِسـكويه، أبـو عَليّ أحمد بـن مُحَمَّد بـن يعقوب (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، تهذيب الأخلاق، دراسـة وتحقيـق: عمـاد الهـلالي، ط١، بَغدَاد-بـيروت، منشورات الجمل، ٢٠١١م.
- مِسـكويه، أبـو عَليّ أحمد بـن مُحَمَّد بـن يعقوب (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، تجـارب الأمم، تحقيق: أبو القاسـم إمامـي، ط٢، طهـران، دار سروش، ٢٠٠٠م. (ثمانية أجزاء مع الذيول).
- أبونـا، الأب ألبير (ت ٢٠٢١م) ، ديـارات العراق، بَغدَاد، ٢٠٠٦م.
- إسرائيل جوزيـف، بنيامـين (ت ١٨٦٤م)، رحلة بنيامين الثّاني، خمس سنوات في الشّرق (١٨٦٤-١٨٥١)، ترجمة وتحقيق: سـالم عيسى تولا، طبع في مطبعة رينبو، مشكان، ٢٠١٠م.
- الهروي، أبو الحَسَن عَليّ بن أبي بكر (ت ٦١١هـ/ ١٢١٤م)، كتـاب الإرشـاد إلى مَعرِفَـة الزّيـارات، عنيت بنشره وتحقيقه: جانين سـورديل-طومين، دمشق، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربيّة، ١٩٥٣م.
- الكاتـب الخوارزمي، أبو عبد اللـه مُحَمَّد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، تصحيـح ونـشر: إدارة الطّباعـة المنيريّـة، ط١، القاهرة، ١٩٢٣م.
- الحبّـة، زكي عبـد الحميـد، مفردات فارسـيّة في بَغدَادات عزيز الحجيّة، ط١، بيروت، الدّار العربيّة للموسوعات، ٢٠٠٢م.
- الشابُشتي، أبو الحَسَن عَليّ بن مُحَمَّد (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)، الدّيـارات، تحقيق: كوركيس عوّاد، ط٢، بَغدَاد، مطبعة المعارف، مكتبة المثنّى، ١٩٦٦م.
- التوحيـديّ، أبو حيّان عَليّ بن مُحَمَّد (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، أخـلاق الوزيريـن (مثالـب الوزيريـن الصَّاحِـب بـن عَبَّاد وابـن العميد)، حقّقـه وعلّق حواشـيه: مُحَمَّد بن تاويت الطّنجي، ط١، دمشق، المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٦٥م.
- التوحيـديّ، أبو حيّان عَليّ بن مُحَمَّد (ت ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، الرّسـالة البَغدَاديّـة، تحقيـق: عبـود الشّالجي، ط١، بيروت، دار الكتب، ١٩٨٠م.
- حُسـيني نجـاد، أميـد، Shii Studies Review، Brill، Leden.
- شـكرًا للصديـق الباحـث والكاتب الأسـتاذ أميد حسـيني نجاد الذي وضـع مقاله تحـت تصرّفي، وهي عبـارة عن تعريـف بمخطـوط روزنامجة، مـع مُقَدِّمَـة حوله. وسـتُنشر المُقَدِّمَـة مع صورة المخطوط (فاكسـميل) في مجلـة: Shii Studies Review (الدراسات الشّيعيّة)، الصّادرة من بريل في مدينة ليدن الهولنديّة.
- Ahram, Ariel I, (Baghdad), Encyclopedia of Jews in the Islamic World , Leiden, Brill, ٢٠١٠.
- النّـاصري، صبـاح، (رحلـة ديولافـوا إلى العراق) المنشـورة على النّت بتحليل وقراءة معمّقة للرحلة عن الفرنسيّة مباشرة.
- https://sabahalnassery.wordpress.com/٢٠١٧/٠٤/١٨

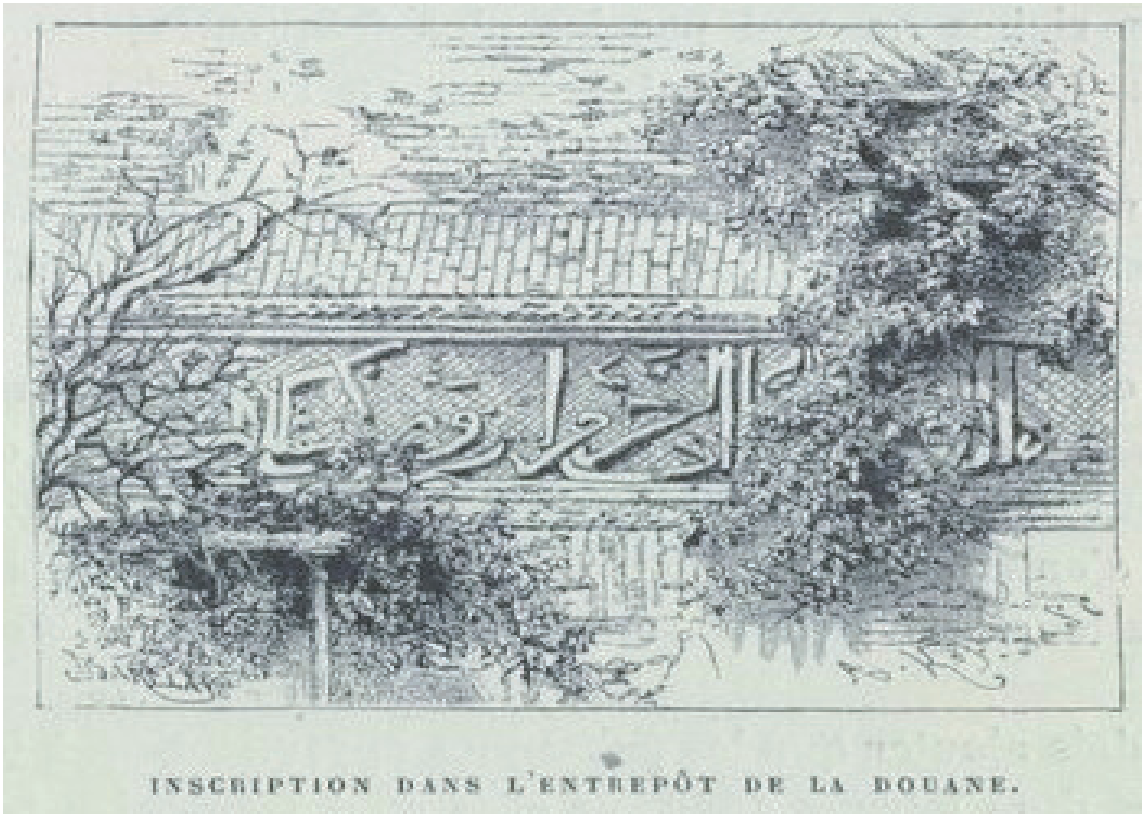

إحدى جدران المدرسة المستنصرية كما رسمتها الرحالة ديولافوا.

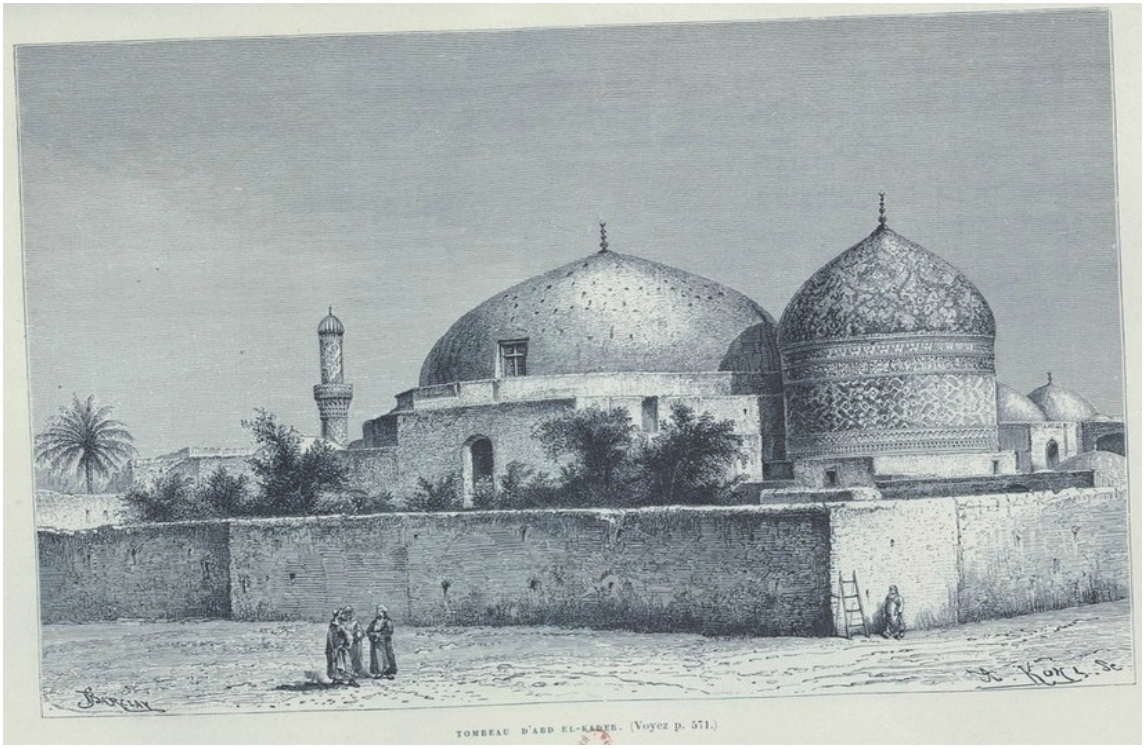

جامع عبد القادر الكيلاني كما رسمتها المدام ديولافوا.

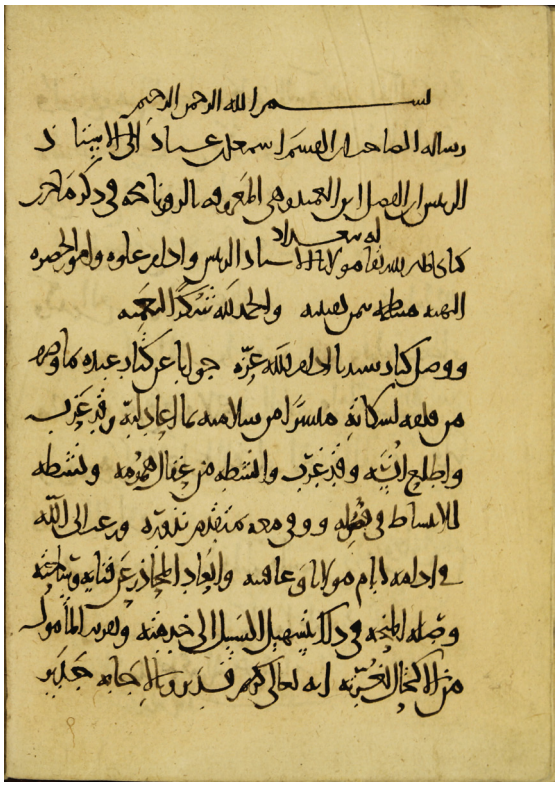

الصفحة الاولى من مخطوط الروزنامجة (يوميّات) الصاحب بن عباد إلى بغداد. وهي أقدم رحلة وصلتنا إلى بغداد تُنشر للمرّة الأولى.

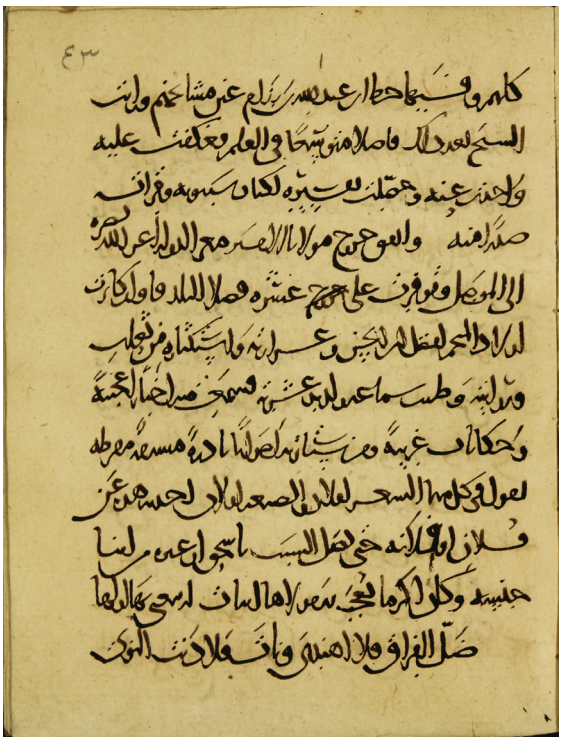

الصفحة الثالة والاربعون من مخطوط الروزنامجة (يوميّات) الصاحب بن عباد إلى بغداد. وهي أقدم رحلة وصلتنا إلى بغداد تُنشر للمرّة الأولى.

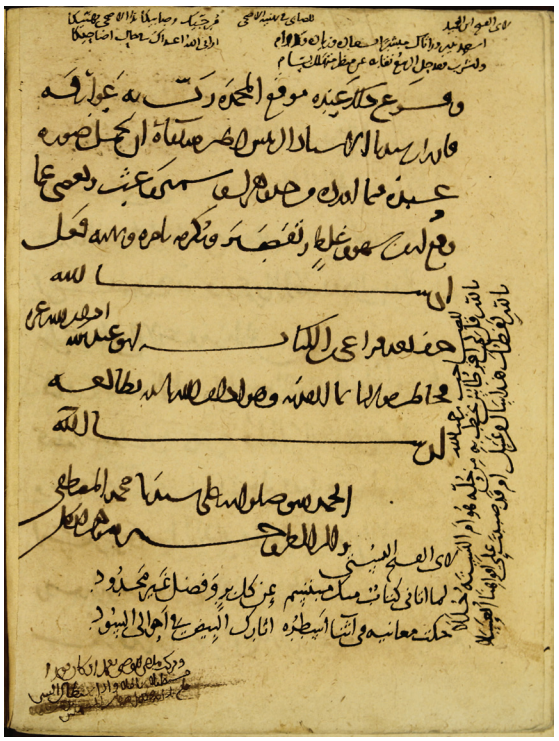

الصفحة الأخيرة من مخطوط الروزنامجة (يوميّات) الصاحب بن عباد إلى بغداد. وهي أقدم رحلة وصلتنا إلى بغداد تُنشر للمرّة الأولى.

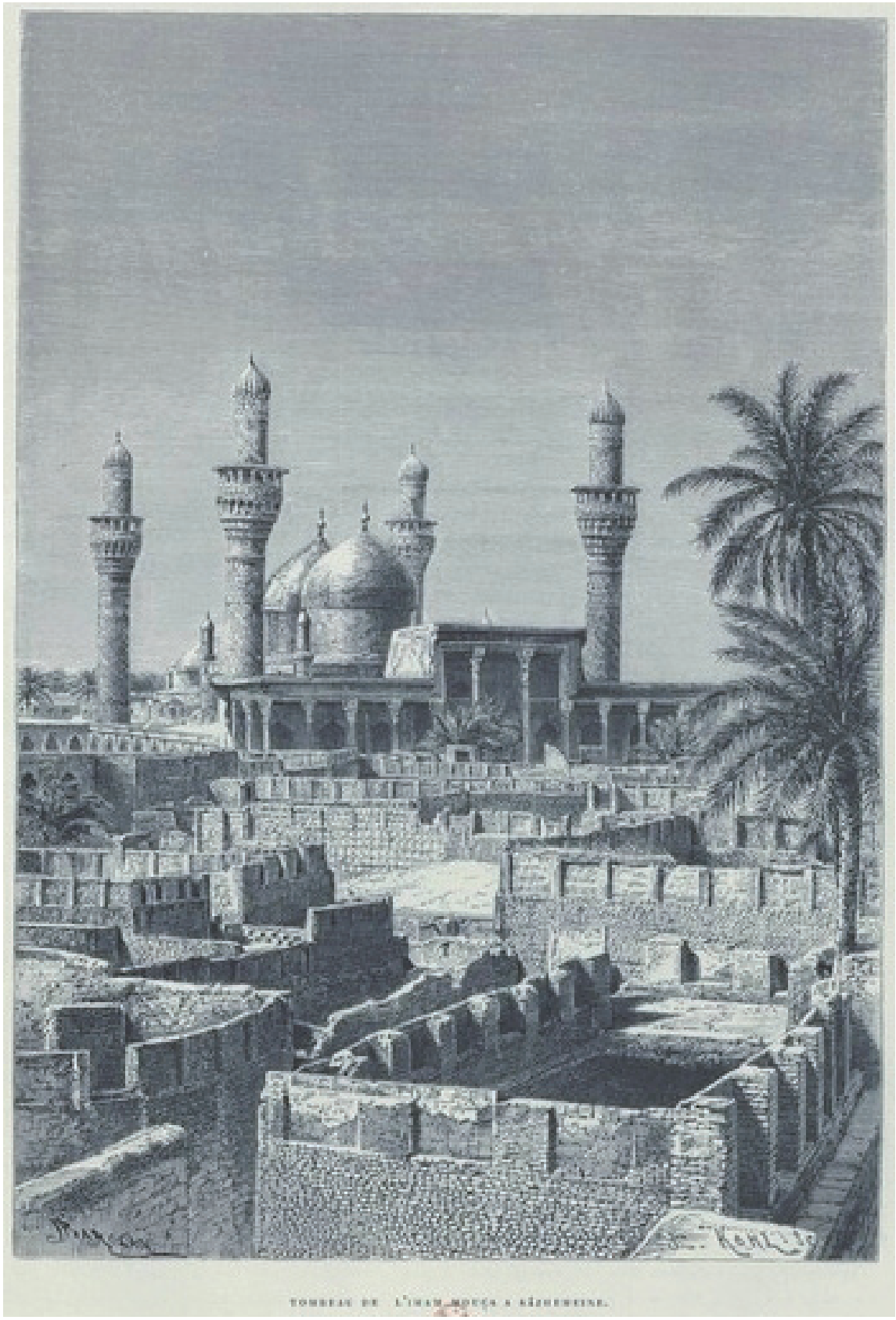

مدينة الكاظمية كما رسمتها مسيو موجل للمدام ديولافوا.